مدخل

لدراسة العقيدة الإسلامية

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالىٰ

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد؛ فهذا اللِّقاء عنوانه: «**مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**».

وعادةً يُراد بمداخل العُلوم: التعريف بهذا العلم من حيث بيان حقيقته، وبيان مكانته، وبيان ما بُذل من جهودٍ في تجليته وإيضاحه، وبيانُ شرفه وفضله ومكانته، إلىٰ غير ذلكم من الأمور التي هي بمثابة المقدِّمات والمفاتيح لدراسة الفن المراد بيانه.

وهذا مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، وسنتناول -بإذن الله تبارك وتعالىٰ- في هذا المدخل أمورًا عديدة تأتي تِباعًا في نقاطٍ أبيِّنُ من خلالها ما يتيَّسر بيانه حول العقيدة الإسلامية وما يتعلَّق بها؛ تقريرًا وتأصيلًا، وبيانًا لمكانتها ومنزلتها وفضلِها، وما بُذل من جهودٍ في بيانها، وما يترتَّب علىٰ تحقيقها من ثمارٍ وآثار.

والحديث هذا اليوم سيكون في ثلاث مقدِّمات:

۞ **المقدمة الأولىٰ**: في التعريف بالعقيدة، وبيان المراد بها، وذكر الألفاظ المرادفة لهذه الكلمة؛ كلمة «العقيدة».

والعقيدة: مأخوذة لغةً من العَقْد الذي هو الشَّد وربط الأمر وإيثاقه بحيث لا ينفلِت ولا ينفصم، عقَدَ الحبل؛ أي: ربطه وشدَّ وِثاقه، وتُطلق أيضًا علىٰ ملازمة الشَّيء، ولهذا قيل: إنَّ المراد بقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»؛ أي: ملازم لها إلىٰ قيام الساعة.

والعقيدة التي هي أساس دين الله تبارك وتعالىٰ والتي هي أصل دين الإسلام =سميت بهذا الاسم؛ لأن مبناها علىٰ ربط القلب علىٰ أمور الاعتقاد وأصول الديانة، فلا تكون عقيدةً إلا إذا كانت بهذه الوثاقة وبهذا الارتباط وبهذا التمسُّك وبهذا التمكُّن في قلب المسلم، فلا تكون عقيدةً إلا إذا ربط المسلم قلبه عليها ورسخت فيه وثبتت؛ فلم يكن في القلب تِجاهها تزعزع أو شكٌّ أو تردد أو ارتياب، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات:١٥]، بهذا تكون العقيدة؛ ﴿ثُمَّ لَمْ

يَرْتَابُواْ﴾، ومعنىٰ ﴿لَمْ يَرْتَابُواْ﴾؛ أي: أيقنوا ولم يشكُّوا، كانت قلوبهم علىٰ هذا الأصل ثابتةً عليه متمكنًا فيها ليست متردِّدة ولا مضطربة ولا شاكَّة؛ فبهذا يكون الاعتقاد.

وقد جاء في «المسند» للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بإسناد ثابت أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أَفْضَلُ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ**»، هذا هو الاعتقاد؛ إيمانٌ لا شكَّ فيه، كما مرَّ معنا في قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ إيمانٌ لا شكَّ فيه، فإذا وُجد الشَّك في أصول الدِّيانة لم يصبح اعتقادًا، وإنَّما يصبح ريبًا أو شكًّا أو ظنًّا أو نحو ذلك، فالعقيدة الإسلامية سُمِّيت بهذا الاسم؛ لأنها مبنية علىٰ ربط القلب علىٰ أصول الدِّيانة وتمسُّك القلب بأصول الدين وأصول الإيمان بدون شك ولا ريب.

وهذا الاسم «**العقيدة**» هو اسمٌ شرعي ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام، علىٰ خلاف ما يدَّعيه بعض أهل الأهواء أنه مصطلحٌ حادث؛ بل هذا اسم شرعي ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام، كما جاء في «سنن الدارِمي» بإسناد جيد أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَا يَعْتَقِدُ قَلْبُ مُسْلِمٍ عَلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، فهذا اسم شرعي ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام ودرَج السَّلف الصالح رحمهم الله تعالىٰ علىٰ استعماله، ولهذا صُنِّفت مصنَّفات عديدة للسَّلف رحمهم الله تعالىٰ في بيان أصول الدِّيانة وسُمِّيت بالاعتقاد أو بالعقيدة أو بأصول العقيدة، وهو اسمٌ منطبقٌ علىٰ مسمَّاه كما عرفنا ذلك؛ لأن العقيدة لابد فيها من ثبات القلب أو من ربط القلب علىٰ أصول الدِّيانة، فإذا لم يكن ربطٌ وإيثاقٌ ووُجد في القلب شكٌّ أو ريبٌ أو نحو ذلك لم تكن عقيدة.

وهذا من جهة أخرىٰ يبيِّن لنا المكانة العليَّة للعقيدة الإسلامية، وما ينبغي أن تكون عليه القلوب المؤمنة في أمر الاعتقاد من ثباتٍ ورسوخٍ وتمكُّنها في قلب المسلم، وكيف لا يكون شأنُها كذلك وهي أساسُ بناء الدِّين والأصل الذي عليه تقوم! فدين الله ﷻ لا يقوم إلا علىٰ عقيدة راسخة ثابتة رُبط القلب عليها واستوثق بها، فعلىٰ هذا يكون قيام الدِّين، أمَّا بدونه فما يكون عليه الإنسان من عملٍ أو نحو ذلك عُرضة للانهيار في أسرع وقت، كما هو الشأن فيما يقام من أبنية شامخة عالية علىٰ غير أساس فسرعان ما ينهار البناء.

والبيـــت لا يُبْتنـــىٰ إلا بأعمـــدةٍ ولا عمـــاد إذا لـــم تُـــرسَ أوتـــادُ

وسيأتي معنا لاحقًا -بإذن الله تبارك وتعالىٰ- ذِكرٌ لبعض مصنَّفات السلف رحمهم الله تعالىٰ التي سُمِّيت بهذا الاسم، وهي كثيرة جدًّا.

وخلاصة القول: أنَّ «العقيدة» لفظة شرعية وليست مصطلحًا حادثًا، جاء استعمالها في حديث رسول الله ﷺ، ودرج السَّلفُ الصالح علىٰ استعمال هذه اللَّفظة في أصول الدِّيانة وأركان الإيمان وأسس الملَّة للأمر الذي سبق بيانُه وإيضاحه.

وللعقيدة أسماءٌ أخرىٰ متعددة وردت في إطلاقات أهل العلم، وأيضًا فيما سمَّوا به مصنفاتهم في أبواب الاعتقاد؛ فكلمة «عقيدة» لها ألفاظ مرادفة وألفاظ مقارِبة تُطلق علىٰ أمور الاعتقاد وأصول الدِّيانة، فيقال: «العقيدة الإسلامية» ويقال: «التوحيد»، «علم التوحيد»، وأيضا يقال عنها: «الفقه الأكبر»، وكذلك يقال لها: «أصول الدين» أو «أصول الديانة» أو «أصول الملة»، وكذلك يقال عنها: «الشريعة» و«السنَّة»، وفي كل ذلكم صُنِّفت مصنَّفات للسَّلف الصالح في باب الاعتقاد سُمِّيت بالأسماء السابقة.

والتوحيد هو أصل أصول الاعتقاد وأعظم أسسه؛ لأنَّ الاعتقاد له أصول عديدة أعظمُها توحيد الله ﷻ وتحقيق الإيمان به جل شأنه وبوحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه تبارك وتعالىٰ وصفاته؛ وهو ما يُعرف عند أهل العلم بـ«أقسام التوحيد الثلاثة»، وهي أركانٌ للإيمان بالله، لا يكون العبد مؤمنًا بالله ﷻ إلا بإيمانه بهذه الأركان التي بها يصحُّ الإيمان بالله ويستقيم.

- **الإيمان بوحدانيته ﷻ في ربوبيته**؛ بالاعتقاد الجازم والإيمان الراسخ أنه وحده رب العالمين وخالق الخلق أجمعين، الذي بيده أزمة الأمور ومقاليد السَّمٰوات والأرض، الذي بيده ملكوت كل شيء، القدير علىٰ كل شيء، الذي له المشيئة النافذة والقُدرة الشاملة.
- **والإيمان بوحدانيته في أسمائه وصفاته**؛ بالإيمان بها وإثباتها، وعدم جحد شيء منها أو الإلحاد فيها، كما قال الله جل شأنه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف].
- **والإيمان بوحدانيته ﷻ في ألوهيته**؛ بأنه المعبود بحقٍّ ولا معبود بحقٍّ سواه.

فهذا هو توحيدُ الله الذي هو أعظم أصول الدِّيانة وأصل أصول الإيمان.

والتَّوحيد الذي هو أصل أصول الديانة له جانبان:

- جانب عَملي.
- وجانب عِلمي.

وهما الغاية التي خُلق الخلق لأجلها وأوجدوا لتحقيقها:

يدل للأول قول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] هذا في الجانب العملي.

ويدل للثاني وهو العلمي قول الله في الآية الأخيرة من سورة الطلاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق].

تأمَّل في الآيتين؛ آية الذاريات وآية الطلاق، آية الذَّاريات فيها خلَق لأجل العبادة، قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾؛ خلَق لتعبدوا، وآية الطلاق فيها أنه خلَق للعلم ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ لماذا؟ قال: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾؛ هناك خلق لتعبدوا وهنا خلق لتعلموا.

فهذا يدل علىٰ أن الغاية من الخلق هو توحيد الله بجانِبَي التوحيد العلمي والعملي.

والعلمي يشمل الربوبية والأسماء والصفات.

والعملي هو توحيد العبادة، بإخلاص الدِّين لله ﷻ وإفراده بجميع أنواع العبادة؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، قال جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]

والتَّوحيد لا يكون إلا بنفيٍ وإثبات، فلا يكون التوحيد إلَّا بهما، ولهذا قيام التوحيد علىٰ هذين الرُّكنين: النفي والإثبات، وهما مجتمعان في كلمة التَّوحيد «لا إله إلا الله»، هذا هو التَّوحيد، و«لا إله إلا الله» هي كلمة التَّوحيد نفي وإثبات، لا يكون العبد موحِّدًا أو من أهل التوحيد إلا بهما؛ بالنَّفي والإثبات، فإذا نفىٰ ولم يُثبِت ماذا يكون؟ من قال: «لا إله» ووقف يكون ملحدًا، ومن أثبت ولم ينفِ يكون مشركًا، الذي يثبت العبادة لله ويقول: لا أنفيها عمن سواه يكون مشركًا، فالتوحيد لا يكون إلا بالنَّفي والإثبات؛ نفيُ العبودية عن كل من سوىٰ الله، وإثباتُها بجميع معانيها لله وحده ﷻ.

ولغرس هذا الأمر والتمكين له في القلوب وتوسيع مَساحته في النفوس كان من هدي نبينا عليه الصلاة والسلام؛ كما جاء في حديث عبد الله بن الزبير في «صحيح مسلم» أنه كان يهلِّل دبر كل صلاة فيقول: «لا

إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»؛ فهذه ثلاث تهليلات تقال دبر كل صلاة، وعقِب كلِّ تهليلةٍ من هذه التهليلات الثَّلاث ذُكر ما هو تحقيقٌ للتَّوحيد وتأكيد لمعناه، أو ما هو شرحٌ وبيانٌ للتَّوحيد وإيضاحٌ لحقيقته.

فقولُك عقب التهليلة الأولىٰ: «**وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**» هذا تأكيد للتوحيد برُكنيه، أُكِّد الإثبات بقوله «**وَحْدَهُ**»، وأُكد النفي بقوله: «**لَا شَرِيكَ لَهُ**».

وقولك بعد التهليلة الثانية: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ**»، قولك: «**وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ**» هذا بيان للمعنىٰ، معنىٰ «لا إله إلا الله» أي: ألا نعبد إلا الله.

وقولك: «**مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**» بعد التهليلة الثالثة بيانٌ أن حقيقة التوحيد إخلاص الدين لله ﷻ بأن يكون الدين صافيًا نقيا لا شائبة فيه، كله لله رب العالمين؛ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

ويمكن في ضوء هذا التهليل المبارك الذي يردِّده المسلم دُبر كل صلاة أن نستقي منه تعريفًا جامعًا للتوحيد مستفاد من التهليلات الثلاث التي يرددها المسلم دبر كل صلاة فنقول: التوحيد هو أن نعبد الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين، أو بعبارة أدق؛ التوحيد: **ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين**؛ «ألا نعبد إلا الله» هذا من التهليلة الثانية، «وحده لا شريك له» من التهليلة الأولىٰ، «مخلصين له الدين» من التهليلة الثالثة. فهذا التعريف جامع مأخوذ من هذه التهليلة المباركة التي يرددها المسلم دبر كل صلاة، التوحيد هو: ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين.

ولعلنا ندرك بمعرفتنا لهذا التهليل وأهمية تكرار المسلم له دبر كل صلاة المكانة العلية التي ينبغي أن تكون عليها العقيدة في قلب المسلم من حيث المذاكرة والمدارسة والمراجعة والاستذكار؛ ترسيخًا لها وتوسيعًا لمساحتها في القلب وتمكينًا لها في النفس، ولما كان بعض الناس يردِّد هذه الكلمات دون وعيٍ ودون فهمٍ وُجد فيمن يهلل من ينقض تهليله فتسمعه يقول: «لا إله الا الله وحده لا شريك له» ثم بعدها بقليل يقول: "مدد يا فلان، أو: أدركني يا فلان، أو: إن لم تأخذ بيدي فمن الذي يأخذ بيدي! أو: ما لي من ألوذ به سواك" أو نحو ذلك، فهذا التهليل المبارك الذي يردده المسلم دبر كل صلاةٍ فيه حقيقة فوائد عظام جدًّا يجدر بالمسلم أن يعيها حتىٰ يعظم حظه ونصيبه من التوحيد.

ومن أسماء العقيدة «الفقه الأكبر»، وبعض أهل العلم سمَّوا مصنفاتهم في الاعتقاد بهذا الاسم «الفقه الأكبر».

وبهذا يُعلم أنَّ قول نبيِّنا عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»؛ ما المراد بالفقه هنا؟ هل المراد به التعبير الشائع أو الإطلاق الشائع للفقه مرادًا به الأحكام العملية؟ أو المراد بالفقه في الدِّين أي: عقيدةً وشريعة؟ لا شك أن هذا هو المراد، المراد بقوله: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»؛ أي: عقيدةً وشريعة، لأن دين الله ﷻ عقيدة وشريعة، كما هو واضح في حديث جبريل لمَّا ذكر شرائع الإسلام وأصول الإيمان ختم ذلك بقوله: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»، فالدين عقيدة وشريعة. فـ«**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» أي: في دين الله عقيدةً وشريعة.

ولهذا من أمارات الخير وعلامات التوفيق أن يحبَّ المسلم دراسة العقيدة الإسلامية المستمدَّة من الكتاب والسنة، وأن ينشرح صدرُه لدراستها وتعلُّمها؛ لأن هذا من إرادة الخير به، أليس قد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»!! والعقيدة هي أعظم الدين، قد مر معنا قريبًا قول نبينا عليه الصلاة والسلام: «**أَفْضَلُ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ**» والحديث في «المسند» للإمام أحمد، وثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه سُئل أي العمل أفضل؟ قال: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**»، فالعقيدة هي أفضل الدِّين وأعلاه شأنًا وأرفعُه مكانة، فإذا انشرح صدر المسلم لدراسة العقيدة وتعلمها ومذاكرتها فهذا من إرادة الخير به.

كذلكم من أسماء العقيدة: «السُّنَّة»، وقول نبينا عليه الصلاة والسلام: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، قوله: «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» ونظائر ذلك ممَّا جاء عنه صلوات الله وسلامه عليه يتناوَل الدِّين كلَّه عقيدةً وشريعة. ولهذا بعضُ العلماء من السلف رحمهم الله تعالىٰ صنَّفوا في العقيدة مصنَّفات أطلقوا عليها «السُّنّة»؛ لأنّ السنة المروية عن النبي ﷺ المأثورة عنه: عقيدة وشريعة.

كذلكم من أسماء هذا العلم: «أصول الدِّيانة» أو «أصول الدِّين»، وبهذا أيضا صُنِّفت مصنَّفات.

وكذلكم «الشريعة»؛ لأن العقيدة شرعٌ أذِن الله به، قد قال الله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ:٢١]، وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الشورىٰ:١٣] الآية. فالعقيدة شرع الله ﷻ الذي أمر عباده بالإيمان به واعتقاده. فهذه المقدِّمة الأولىٰ.

۞ **المقدمة الثانية: في بيان فضل هذا العلم وشرفه ومكانته.**

والكلام علىٰ فضل العقيدة وشرفها يطول وهو حديثٌ ذو شجون والكلام فيه واسع، لكن نجتزئ لضيق الوقت بالإشارة إلىٰ بعض الجوانب التي تتعلق بهذا المطلب أو بهذا الأمر الذي هو بيان شرف العقيدة وفضل هذا العلم. ويكفي هذا العلم شرفًا وفضلًا ونُبلًا ومكانةً شرف المعلوم، إذ قيل قديمًا: «شرف العلم من شرف معلومه»، وأي شيءٍ أشرف من العلم بالله ﷻ، الذي العلم به هو أشرف علم وأفضله، وبقية العلوم تبعٌ له وفرعٌ عنه!!

فالعلم بالله ﷻ وبخصائصه جل شأنه وحقوقه علىٰ عباده وما يجب له ﷻ من توحيد وإخلاص وإيمانٍ بوحدانيته وتفرُّده وعظمته وجلاله وكماله وكبريائه؛ لا شكَّ أنَّ هذا أفضل علم وأشرفُه وهو الذي يورث الخشية والإنابة وحُسن الالتجاء وتحقيق العبودية لله ﷻ، قد قال اللهُ ﷷ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: «أي: العلماء بأنَّ الله علىٰ كل شيءٍ قدير».

وهذه لفتة عجيبة وعظيمة جدًّا من هذا الحَبر الإمام رضي الله عنه وأرضاه، «العلماء بأنَّ الله علىٰ كل شيءٍ قدير»؛ لأن علمك بالله وأنه ﷻ له القدرة الشاملة والمشيئة النَّافذة، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه الكبير المتعال، العظيم ذو الجلال جل شأنه؛ هذا كلُّه يملأ القلوب تعظيمًا لله ﷻ وقدرًا له جلَّ شأنه حق قدره. بينما إذا ضَعُفت هذه المعرفة وضعُف هذا العلم في القلب ضعُفت آثاره. ولهذا قيل قديمًا: «من كان بالله أعرف كان منه أخوف»؛ لكن ضعف الخوف من الله وضعف الإقبال علىٰ الله وضَعف حُسن الالتجاء إلىٰ الله ﷻ من ضعف المعرفة بالله ﷻ.

وممَّا يبيِّن فضل هذا العلم: أنه أصل دين الله الذي عليه يبنىٰ وأساسه الذي عليه يقام، فلا قيام للدِّين إلَّا علىٰ العقيدة الصحيحة، فالعقيدة للدِّين بمثابة الأصول للأشجار والأسس للبُنيان، فكما أنَّ الأشجار لا تقوم إلا علىٰ أصولها، والأبنية لا تقوم إلا علىٰ أعمدتها، فالدِّين لا يقوم إلا علىٰ العقيدة؛ فإنسانٌ بلا عقيدة كجسدٍ بلا روح. فمكانة العقيدة من النَّفس البشرية بمثابة الرُّوح التي تكون بها الحياة الحقيقية للإنسان؛ لأنها إذا انتُزعت العقيدة من الإنسان كانت حياته بهيميَّة وليست حقيقية، قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، ولهذا سمَّىٰ الله جل شأنه الوحي روحًا؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾

[الشورى:٥٢] لماذا سمَّاه روحًا؟ لأن الحياة الحقيقية للقلوب لا تكون إلا به، وأعظم شيءٍ في وحي الله وتنزيله الاعتقاد، قال الله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [النحل] هذا أعظم شيء في الوحي؛ الاعتقاد، التوحيد، الإخلاص لله ﷻ، الإيمان بوحدانيَّته جلَّ في علاه.

ومن فضل هذه العقيدة كما أسلفت: أنها الأصل الذي يقوم عليه دين الله؛ ومما يبيِّن ذلكم قول الله ﷻ في المثل العظيم الذي ضربه جلَّ وعلا لبيان الإيمان في سورة إبراهيم فقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥﴾ [إبراهيم]؛ تأمَّل هذا البيان العجيب! ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤﴾، فبثبوت هذا الأصل الذي هو الاعتقاد يكون قيام الفرع وحصول الثَّمر، ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾؛ ومن المعلوم أنَّ الشجرة إنَّما يعظم الانتفاع بها ويتحقَّق بثبات أصلها ورسوخه، فإذا ثبت الأصل ورسخ قامت الفروع وتحقَّقت الثمار والآثار؛ فهذا مثَل لبيان الدين وبيان مكانة العقيدة من دِين الله ﷻ.

إذا أردت أن تعرف مكانة العقيدة من دين الله فانظر إلىٰ النَّخلة، لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام بيَّن كما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما أن المراد بالشجرة الطيبة التي جُعلت مثلا للمؤمن النخلة، قد ثبت في «الصحيحين» من حديث ابن عمر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا، وَلَا، وَلَا**» يذكر صفات لها جعلها الله مثلا للمؤمن، ثم لما لم يعرفوا ما هي قال: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»؛ وهذا من الدَّلائل علىٰ شرف هذه الشَّجرة وأنها أفضل الأشجار، لأن الله ﷻ خصَّها من بين الأشجار بأن ضربها مثلًا للمؤمن.

فالنَّخلة لها أصل، لها عروق ثابتة ممتدَّة ضاربة في الأرض متمكِّنة فيها، وتنزل تبحث عن الماء الذي به حياتها، وكلَّما كان الماء إلىٰ جهة اتجهت عروقها إليه -سبحان الله!- تطلب الماء، فبالماء حياتها؛ والمؤمن قلبه يبحث عن الوحي، لأن بالوحي حياته، قال الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ بماذا؟ بالماء ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٧﴾ [الحديد]؛ أي: كما أن الشجر ومنه النّخل يحيىٰ بالماء فإذا حُبس عنه الماء مات، فكذلك القلوب لا تحيىٰ إلا بالوحي، فإذا حُبس عنها الوحي ماتت.

ولهذا كلما ابتعد الإنسان عن الوحي اقترب من الموت، يموت قلبه بدون الوحي، وكلما اقترب من

الوحي دبَّت فيه الحياة بحسب قربه من الوحي وحظه ونصيبه منه، قد مرَّ معنا قول الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورىٰ].

ومن دلائل وشواهد فضل العقيدة ورفيع مكانتها: أنها أساسٌ لا تصحُّ الأعمال إلا به، ولا تُقبل إلَّا به؛ فالعمل مهما عظُم وكبر وتعدد وتنوَّع لا يُقبل إلا بعقيدة صحيحة، فالعقيدة أساسٌ وأصلٌ لقبول الأعمال، فإذا وجدت أعمالٌ بلا عقيدة فماذا تكون؟ تكون هباءً منثورًا، فالعمل الذي يكون علىٰ غير عقيدة لا يُقبل، ولهذا ترىٰ في آيات كثيرة جدًّا في القرآن تُذكر العقيدة أساسًا لقبول الأعمال، في مثل قوله: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [الإسراء:١٩]، ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [النحل:٩٧]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة. فالأعمال الصَّالحات والطاعات المتنوعات لا تُقبل إلَّا بالاعتقاد، وبدون الاعتقاد يكون العمل باطلًا وحابطًا وليس مقبولًا؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥﴾ [المائدة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٥٤]. فالنَّفقات وهي عمل صالح لا تكون متقبَّلة إلا إذا كانت قائمة علىٰ عقيدة صحيحة. فالعقيدة من شرفِها وفضلها ومكانتها العليَّة أنها تصحِّح الأعمال، فلا تصحُّ الأعمال إلا بها ولا تُقبل إلَّا بها.

ومن شرف هذه العقيدة ومكانتها: كثرةُ ثمارها وتعدد فضائلها وتنوُّع خيراتها وبركاتها، وسيأتي لاحقًا بسطٌ لثمرات الاعتقاد وفوائده وآثاره التي يجنيها المؤمنُ ويحصِّلها صاحب المعتقد السَّليم.

ونكتفي بهذا لندخل في:

۞ **المقدِّمة الثالثة** من المقدِّمات الثَّلاث وهي: حديثٌ حول حملة العقيدة من هم؟ حملة هذه العقيدة الصَّحيحة من هم؟

وجواب ذلك باختصار شديد: هم أنبياء الله وتابعوهم بإحسان، أو أنبياء الله وورثتهم؛ فحملة هذه العقيدة والدعاة إليها والمنافحون عنها والذَّابُّون عن حماها والمنتصرون لها هم أنبياء الله وورَّاثهم، قد قال عليه الصلاة والسلام: «**يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

والأنبياء من أوَّلهم إلىٰ آخِرهم عقيدتهم واحدة، لا اختلاف بين نبيٍّ وآخر في العقيدة، فعقيدة الأنبياء

واحدة وأصولهم أجمعين واحدة، ولهذا قال أهل العلم: العقيدة لا يدخلها النَّسخ، وإنَّما يدخل الأحكام، أمَّا العقيدة لا يدخلها النسخ لا في شريعة النبيِّ الواحد ولا أيضًا بين نبيٍّ وآخر، العقيدة لا يدخلها نسخ؛ فالعقيدة التي عليها نوح هي العقيدة التي عليها إبراهيم، هي العقيدة التي عليها موسىٰ وعيسىٰ، هي العقيدة التي عليها خاتم النبيِّين، هي العقيدة التي عليها الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ عقيدة واحدة، وهي عقيدة نازلة بالوحي من الله ﷻ ربِّ العالمين، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»؛ العَلَّة من هي؟ العلة: هي الزوجة علىٰ الزوجة؛ الزوجة علىٰ الزوجة يقال لها: علة، والعلّ: هو النَّهَل والشرب، فالزوجة علىٰ الزوجة يقال لها: علة، يقول: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**» أي: عقيدتنا واحدة والشرائع قد تكون مختلفة بحسب حاجات الأقوام وواقع الزمان، قال الله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٩]، ولهذا يدخل النسخ في الأحكام، أما العقيدة فهي عقيدة واحدة.

فالأنبياء كلُّهم علىٰ عقيدةٍ واحدة، كلُّهم دعاةٌ إلىٰ توحيد الله وإفراده جلَّ شأنه بالعبادة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء]، قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف]، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي: الرسل ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف:٢١]؛ هذه مهمَّة الأنبياء، فهم كلُّهم دعاة إلىٰ توحيد الله وإفراد الله ﷻ بالعبادة، وكلُّهم دعاة إلىٰ الإيمان باليوم الآخر، ما مِنْ نبي بعثه الله ﷻ إلا ودعا قومَه إلىٰ الإيمان باليوم الآخر، ولهذا يقول الله سبحانه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الزمر:٧١].

الرُّسل كلُّهم ينذرون من لقاء الله، وكلُّهم دعاة إلىٰ الإيمان باليوم الآخر، فما مِنْ رسولٍ بعثه الله إلا ودعا قومه إلىٰ الإيمان باليوم الآخر، وكلُّهم دعاةٌ إلىٰ الايمان بالأنبياء الذين يبعثُهم الله ﷻ بوحيه جل شأنه وتنزيله، ولهذا كان التَّكذيب بنبيٍّ واحد تكذيبٌ بجميع النبيِّين، قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥﴾ [الشعراء] مع أنَّهم إنما كذبوا نوحًا وحده عليه السلام! فدين الأنبياء واحد، عقيدتهم واحدة، أصولهم واحدة، إلىٰ أنْ ختمهُم الله ﷻ بمحمدٍ صلوات الله وسلامه عليه.

ثم أتباع هذا النبي عليه الصلاة والسلام بإحسان هم حملة العقيدة التي كان عليها صلوات الله وسلامه عليه وكان عليها الأنبياء من قبله، ولهذا يُطلق علىٰ حملة العقيدة الصَّحيحة أسماء تدلُّ علىٰ هذا الارتباط بالنبي عليه الصلاة والسلام وبما جاء عنه؛ فيقال: «أهل السُّنّة والجماعة»، يقال: «أهل الحديث»، يقال: «أتباع السَّلف» أو «السَّلف»، يقال: «أهل الأثر»، إلىٰ غير ذلكم من الألقاب التي تطلق عليهم المُشعِرة بأنَّ القوم لم يأتوا بشيء من قِبل أنفسهم ولم يخترعوا أمرًا بفكرٍ أو عقل أو رأي أو ذوق أو وجْد أو نحو ذلك وإنما هم أتباع وقُفاة للأثر، ولهذا يقال: «أهل السنة» أو «أهل الجماعة» أو «أهل الحديث» أو «أهل الأثر» أو «السلف»، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة:١٠٠]، ويقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء:١١٥]، ومرَّ معنا قول نبينا عليه الصلاة والسلام: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

ولعلَّنا نكتفي بهذا القدر، سائلين الله ﷻ أن يرزُقنا أجمعين العلم النَّافع والعمل الصالح، وأن يوفقنا أجمعين لما يحبُّه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال. اللّٰهُمَّ إنا نسألك إيمانًا دائمًا وعلمًا نافعًا وهديًا قيِّمًا. والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد..

الحديث في يومنا هذا أو في هذا المدخل لعلم العقيدة حول «**الأسس والرَّكائز التي يقوم عليها منهج أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد**»، وبين يدي الحديث عن هذه الأسس والركائز لابد من مقدِّمة هي فيما أحسب غاية في الأهمية بين يدي ذكر هذه الأسس، ألا وهي: أنَّ الاعتقاد الحق الذي تكون به نجاة العبد وفلاحه وصلاح أمره وحُسن مآله يوم يلقىٰ ربَّه ﷻ هو الاعتقاد الذي نزل به وحيٌ من الله ﷻ؛ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]، فالاعتقاد الحق هو الذي نزل به وحيٌ من الله، وما عند الناس من العقائد لا مستند لها من الوحي وليس عليها سلطانٌ نازلٌ من الله جل وعلا فهي عقائد باطلة.

ولهذا يمكن أن تُقسَم العقائد إلىٰ قسمين: عقائد نازلة، وعقائد نابتة.

- **والعقائد النَّازلة**: هي التي عليها وحي، ونزل بتقريرها وحيٌ من الله ﷻ وقامت عليها الحجج والبراهين.
- **والعقائد النَّابتة**: هي التي نشأت في الأرض واخترعها الناس، وهي عقائد متنوعة ومتضاربة وكثيرة جدًّا، وسبب كثرتها وتنوُّعها وتضاربها: تنوع مصادرها وتبايُن منابعها؛ فمنها عقائد قامت علىٰ العقول المجرَّدة، وعقائد قامت علىٰ الآراء، وعقائد قامت علىٰ الأذواق، وعقائد قامت علىٰ المنامات والحكايات إلىٰ آخر ذلك، وهي كثيرة جدًّا. وكلُّ عقيدةٍ لم ينزِل بها وحيٌ من الله فهي عقيدةٌ نابتة، وكلُّ عقيدة نابتة فهي عقيدة باطلة.

والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه عندما جابهوا أقوامهم وردُّوا باطلهم ودحضوا زَيْف ما هم عليه وبيَّنوا ضلال ما يعتقدون سلكوا فيما سلكوه في تقرير هذا الأمر هذا المسلك؛ وهو بيان أن تلك العقائد لم ينزل بها وحيٌ ولم يقم عليها سلطان، وترىٰ هذا في آيات عديدة في القرآن.

منها علىٰ سبيل المثال: قول الله تبارك وتعالىٰ في سورة يوسف في دعوته لصاحبي السجن قال:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف]، وهذا موضع الشاهد قول يوسف عليه السلام لهم: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾؛ فأي عقيدة لم ينزل بها سلطان -أي حجّة وبرهان من الله بوحي نازل من رب العالمين- فهي عقيدة باطلة، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف].

ولهذا الدِّين لله، كما قال الله ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٣]، الدِّين لله من جهة أنه هو الذي يشرع من الدِّين ما شاء ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ:٢١]، فالدِّين لله من جهة أنّه ﷻ يشرع من الدّين ما شاء، والدِّين لله من جهة أنّه لا يُتقرب بشيء من الدّين إلّا لله ﷻ، فالدِّين لله ليس لغيره.

ولهذا كلُّ عقيدةٍ أو كل دينٍ لم ينزل به وحي من الله تبارك وتعالىٰ فهو دينٌ باطل وعقيدة باطلة، ولهذا قال لهما يوسف عليه السلام: ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ والسلطان هو الحجة، والحجة سميت سلطانًا: لأن لها سلطة علىٰ القلوب وقوة وهيبة وتأثير.

ونظير هذه الآية قول الله ﷻ في سورة النجم: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾، ولهذا نظائر في كتاب الله ﷻ. الشَّاهد: أنَّ العقيدة الصحيحة لابد أن تكون قائمة علىٰ سلطان وحجة وبرهان بوحي نازل من ربِّ العالمين.

ولهذه العقيدة أمارة بينة وعلامة واضحة وضوح الشمس ألا وهي: أن صاحبها يقول: "أعتقد كذا لقول الله تعالىٰ كذا، واعتقد كذا لقول رسول الله ﷺ كذا"، هذه عقيدة قامت علىٰ وحيٍ نازل، وهي طريقة السلف الصالح أهل السنة والجماعة رحمهم الله في تقرير المعتقد؛ يذكرون العقيدة مقرونةً بدليلها، والوحي النازل بها من كتابٍ أو سنة؛ لأنَّ السنة وحي نازل كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم]، فهذه أمارتها وهي علامة واضحة.

ولهذا لا تلتبس كتب العقيدة للسلف بكتب غيرهم من أهل الأهواء؛ لأن أهل الأهواء يبنون عقائدهم علىٰ أمور وأمور مختلفة، منهم من يبني علىٰ العقل، ومنهم من يبني علىٰ الرَّأي، ومنهم من يبني علىٰ الذوق ومنهم.. ومنهم.. إلىٰ غير ذلك، ولهذا قد ترىٰ في بعض كتب العقائد يُقرر عقيدة ثم إذا أراد أن

يستدل لها استدل بالعقل المجرَّد وبالجدل وبقوله: "بما أنه كذا إذن يكون كذا، ولو كان كذا لكان كذا" إلىٰ غير ذلك. أما العقيدة الصحيحة التي عليها وحي نزل بها؛ صاحبُها لا يزيد علىٰ أن يقول: "أعتقد كذا لقول الله تعالىٰ كذا، واعتقد كذا لقول رسول الله ﷺ كذا"، ولهذا قيل: الدِّين قال الله قال رسوله.

ومن جميل ما يُذكر في هذا المقام أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ كما جاء في «مجموع فتاواه» في المجلد الثالث لما طُلب منه أن يكتب متنًا في الاعتقاد ذكر في سياق ذلك كلامًا عظيمًا قال: «الاعتقاد ليس لي ولا لمن هو أكبر مني -أي من العلماء- الاعتقاد لله»؛ الاعتقاد هو ما قاله الله وقاله رسوله ﷺ، الاعتقاد ما جاء في القرآن وما جاء «صحيح البخاري»، وما جاء في «صحيح مسلم»، وما جاء في السنن، و«مسند الإمام أحمد»، الاعتقاد الصحيح هو الذي قام عليه الدليل ودل عليه الوحي من ربِّ العالمين؛ بل لا سبيل إلىٰ معرفة الاعتقاد والتفاصيل المطلوبة في أمور الإيمان إلا بالوحي النَّازل، ويكفي في هذا ما جاء في أواخر سورة الشُّورىٰ حيث قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ هكذا قال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ﴾ أي: الوحي ﴿نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢]، فالوحي نورٌ يهدي به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من شاء من عباده، فيعرف الاعتقاد الحق ويحيىٰ الحياة الطيبة بالإيمان وطاعة الرحمن، ولهذا قال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٢٤].

كذلكم ما جاء في «البخاري» في ذكر مجيء وفد عبد القيس إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام في «الصحيحين» وقولهم للنبي ﷺ: «إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ»، قال: «**آمركم بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟**» هكذا قال عليه الصلاة والسلام، هذه الكلمة لو قيلت لصاحب فلسفة أو صاحب علم كلام أو قيلت لشخصٍ مشتغلٍ بالأذواق والمواجيد أو غير هؤلاء، فماذا سيكون جوابهم؟ إذا قيل له: أتدري ما الإيمان؟ ماذا سيكون جوابه!! كلٌّ من هؤلاء سيتكلف في الإجابة علىٰ هذا السؤال بحسَب ما تُمليه عليه توجُّهاته ذوقًا أو رأيًا أو عقلًا أو منطقًا أو إلىٰ آخره، ولهذا امتلأت الكتب بالعقائد الباطلة؛ ذاك يذكر اعتقادًا يبنيه علىٰ رأي، وآخر يذكر اعتقادًا يبنيه علىٰ ذوق، وثالث يذكر اعتقادًا يبنيه علىٰ شيءٍ رآه في المنام، إلىٰ غير ذلك أمور كثيرة جدًّا ملئت بها كتب الضلال.

لكن هؤلاء القوم المباركين لما قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟**» قَالُوا:

اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، ماذا تستفيد من قولهم: (اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)؟ أن القوم يدركون أن الإيمان وحيٌ، لا سبيل إلىٰ العلم به من خلال رأي او عقل أو ذوق أو دراية باللغة أو نحو ذلك لا سبيل إلىٰ العلم به إلا بالوحي، قالوا: الله ورسوله أعلم، وكانوا أهل لسان عربي يعرفون معنىٰ الإيمان من حيث اللغة ولا ينقصهم ذكاء، يتحدثوا مثلما يتحدث غيرهم من المتكلفين؛ لكن الله حماهم ووقاهم وهداهم وبصَّرهم ووفقهم للزوم الوحي والتقيُّد بما جاء به، قالوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

ففسَّر لهم النبي عليه الصلاة والسلام الإيمان بالله وشرحه في الحديث بأن ذكر لهم أعمال الدِّين الظاهرة، كما أنَّه في حديث جبريل فسَّر الإيمان بعقائد الدِّين الباطنة «أن تؤمن بالله وملائكته... » إلخ، فالإيمان ومعرفته والعقائد وتفاصيلها هذه لا سبيل إلىٰ العلم بها إلا بالوحي، لا سبيل إلىٰ العلم بها إلا بوحي نازل من الله ﷻ رب العالمين، فالدِّين لله، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، والآيات عديدة.

ولهذا كان أهل السنة والجماعة في هذا الباب وفي عموم أبواب الدين ملازمين لكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام معتصمين بالوحي النازل من الله تبارك وتعالىٰ، فكان ذلك سبب نجاتهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة. ومن كان مستمسكًا بالوحي لن يضل ولن يزيغ؛ كما قال عليه الصلاة: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللهِ وسنَّتي**».

وفي ضوء ما سبق يمكن أن أشير إلىٰ **جملة من القواعد والأسس التي ارتكز عليها منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد**؛ المنهج الذي فيه العلم والسلامة والحكمة.

فمن هذه الأسس العظيمة في هذا الباب: اعتقادهم أن الرسول ﷺ بيَّن الدين كله أصوله وفروعه، وأنه عليه الصلاة والسلام ما ترك خيرًا إلا دل الأمة عليه ولا شرًّا إلا حذَّرها منه. وأعظم الخير التوحيد، وأعظم الشر الشرك. وهكذا الشأن في جميع الأنبياء كما جاء في «صحيح مسلم» عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»، فالنبي عليه الصلاة والسلام بيَّن الدِّين كلَّه كاملًا في الأصول والفروع، في العقائد والشرائع، ولم يمُت عليه الصلاة والسلام حتىٰ أنزل الله ﷻ في ذلك تنصيصًا وتبيينا قوله سبحانه:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

وهذه الآية العظيمة المباركة مفخرة أمة الإسلام وبشارة لعباد الله المؤمنين أمَّة محمدٍ عليه الصلاة والسلام، ونزلت علىٰ النبيِّ عليه الصلاة والسلام في ساعةٍ مُباركة وفي عشيةٍ مباركة وفي يومٍ مبارك، حتىٰ إنَّ اليهود أدركوا مكانةَ هذه الآية وعَظَمة هذه الآية! قد جاء في الصحيح أن نفرًا منهم جاءوا إلىٰ عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقالوا: إنكم معشر المسلمين نزلت عليكم آية لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وما هي؟ قالوا: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، قال: «إني أعلم الساعة التي نزلت فيها، والعشية التي نزلت فيها، والمكان الذي نزلت فيه؛ نزلت علىٰ النبيِّ عليه الصلاة والسلام عشية عرفة بعرفة»، نزلت في أشرف الأيام وأشرف الأوقات وأفضلها، فيها إعلان تمام الدِّين وكماله في عقائده وشرائعه.

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ اليوم: يوم عرفة ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، ولهذا بعد يوم عرفة لم ينزل حلال ولا حرام إلىٰ أن توفِّي عليه الصلاة والسلام، عاش بعد يوم عرفة ما يزيد علىٰ الشَّهرين لم ينزل فيها حلال ولا حرام ولم ينزل فيها أحكام؛ لأن الدِّين كمُل، قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، فالدِّين كاملا بأصوله وفروعه قد بيَّنه الرسول عليه الصلاة والسلام.

وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام بيَّن بتفصيلٍ دقيق الآداب العالية لقضاء الحاجة وكيف يقضي المسلم حاجته، تجد تفاصيل عجيبة جدًّا في آداب قضاء الحاجة ثبتت عنه عليه الصلاة والسلام، حتىٰ إن أعداء المسلمين أدركوا هذه التفاصيل وعناية النبي ﷺ بها وقالوا -كما جاء في حديث سلمان- «**قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شيْءٍ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةَ؟!**» قال سلمان: «أَجَلْ» هذه مفخرة، مفخرة لأمة الإسلام، قال: أجل علَّمنا كذا وعلمنا كذا، «**لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ**».

إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام بيَّن آداب قضاء الحاجة بالتَّفصيل وبالتفصيل الدقيق جدًّا الذي يدل علىٰ جمال الدين وكماله وعظمته؛ أيمكن أن يكون بيَّن هذه التفاصيل المتعلقة بآداب قضاء الحاجة ولم يبيِّن أمر الاعتقاد؟! ولم يبيِّن أمر التوحيد! أيمكن ذلك؟ حتىٰ يأتي فيما بعد المتكلفون فمنهم من يأتي باعتقادٍ يبنيه علىٰ رأي! أو اعتقادٍ يبنيه علىٰ عقل! أو اعتقادٍ يبنيه علىٰ ذوق! أو غير ذلك

أيمكن ذلك؟ ولهذا قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: محالٌ أن يكون النبي ﷺ علَّم أمته حتىٰ آداب الخراءة -يعني قضاء الحاجة- ولم يعلِّمهم التوحيد، محال، لا يمكن.

فخلاصة القول: أن الرسول عليه الصلاة والسلام بيَّن الدِّين كله؛ أصوله وفروعه، عقيدةً وشريعة. ما ترك خيرًا إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شرًّا إلا حذرها منه صلوات الله وسلامه عليه، قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة] صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. هذا الأصل الأول.

الأصل الثاني وهو ينبني علىٰ هذا الأصل ألا وهو: أن الواجب علىٰ كلِّ مسلم أن يكون تعويله واعتمادُه في تقرير الاعتقاد وغير ذلكم من أمور الدِّين علىٰ كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، عليهما يعوِّل وإليهما يرجع وعنهما يصدُر وإليهما يردُّ النِّزاع، وفي هذا دلائل منها: قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء]، والرد إلىٰ الله: هو الردُّ إلىٰ كتابه، والردُّ إلىٰ الرسول ﷺ: هو الرد إلىٰ سنَّته.

ومن لم يسلك هذا المسلك وينهج هذا المنهج في تقريره للمعتقد ضلَّ سواء السبيل، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللهِ**»، وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ كثيرًا ما يقول: من فارق الدَّليل ضل السَّبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول. كلمة عظيمة جدًّا، أي أنَّ القائل إذا قال قولًا بلا دليل يكون ضالًّا عن السَّبيل الصراط المستقيم، ولا دليل -أي صحيح تقوم به حجّة- إلا بما جاء به الرَّسول عليه الصلاة والسلام. ويقول ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ شارح العقيدة الطحاوية في مقدمته لشرحها: (كيف يرام الوصول إلىٰ علم الأصول بغير ما جاء به الرسول) كيف هذا يكون؟ ما يمكن، كيف يرام الوصول إلىٰ علم الأصول بغير ما جاء به الرسول، هل يمكن للإنسان أن يصل إلىٰ أصول الدين وحقائق الإيمان والعقائد المطلوبة بغير ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام؟! هذا ليس بممكن، فمعرفة الدِّين إنما يكون بالرجوع إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

ثالثًا: ليحذر المسلم في هذا المقام من التقدم بين يدي الله ورسوله بأن يقول علىٰ الله أو في دين الله أو في وحي الله بغير علمٍ من الله ولا برهان؛ فإن هذا من أعظم الإثم وأكبر الجرم ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف]، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحجرات]، ومعنىٰ ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ أي: لا تقولوا حتىٰ يقول ولا تفعلوا حتىٰ يأمر؛ ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ أي: لا في العقائد ولا في الأعمال، لا في الأمور العلمية ولا في الأمور العملية، لا تقولوا حتىٰ يقول، ولا تفعلوا حتىٰ يأمر. هذا حاصل كلام السَّلف رحمهم الله في معنىٰ الآية؛ «لا تقولوا حتىٰ يقول» أي: لا تقولوا في شيءٍ من الأمور العلمية حتىٰ يقول الله ويقول رسوله عليه الصلاة والسلام، «ولا تفعلوا» أيّ شيء من الأعمال والعبادات «حتىٰ يأمر» يأتي الأمر بذلك من الله أو من الرَّسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وفي هذا أيضًا يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء].

الأمر الرابع: أن الواجب في هذا الباب؛ أن يكون فَهْم الإنسان للنصوص -نصوص الكتاب والسنة- في ضوء فَهْم السلف الصالح الذين هم أبرُّ الناس قلوبًا وأزكاهم نفوسا، وهم الذين تلقوا الدين من الرسول عليه الصلاة والسلام وأخذوه عنه وسمعوه منه وبلَّغوه للأمة كما سمعوه وأدَّوه كما حفظوه رضي الله عنهم وأرضاهم، وقد اختارهم الله ﷻ أصحابًا لنبيه وحملةً لدينه، فرضي عنهم ﷻ ورضوا عنه، وأنزل السكينة عليهم، وألزمهم التقوىٰ ﷻ، وشرح صدورهم لصحبة النبي ونصرة الدين.

فالواجب في فهم الدِّين ومعرفة أموره أن يكون ذلك في ضوء فهم السَّلف، لا أن يأتي إنسانٌ في آخر الزَّمان ويقول: "هم رجال ونحن رجال"، إذا قال هذه الكلمة فهم رجال وهو صاحب ضلال، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة:١٠٠] هذا هو المطلوب؛ أن يتَّبع سبيل السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان؛ فينهج نهجهم ويلزم غرزهم ويسلك سبيلهم، وكلما كان العبد إلىٰ نهجهم وسبيلهم أقرب كان إلىٰ الحق أقرب. ولهذا جاء في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

الأمر الخامس: أنَّ الواجب علىٰ من أكرمه الله ﷻ بهذه المعرفة أن يستقيم عليها علمًا واعتقادًا

وعملًا؛ أن يستقيم علىٰ ما أكرمه الله ﷻ بمعرفته والعلم به واعتقاده والإيمان بـه إلـىٰ أن يتوفـاه الله ﷻ وهو عنه راض. والله ﷻ يقول: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢]، الاستقامة تكون كمـا جـاء عـن الله في وحيه وتنزيله سبحانه. ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف:١٣]، ويقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

فهذه الاستقامة مطلوبة من العبد بأن يجاهد نفسه علىٰ الثبات علـىٰ الاعتقـاد الصـحيح والأعمـال الزاكية والطاعات المقرِّبة إلىٰ الله ﷻ إلىٰ أن يتوفاه الله ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجـر]، قال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

ومن الدعوات العظيمة في هذا الباب: ما جاء عن أبي الـدرداء رضي الله عنه -وقـد رواه ابـن أبـي شـيبة في كتابه «الإيمان» وكذلك في كتابه «المصنَّف»- أنه رضي الله عنه كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إني اسألك إيمانًا دائمًا وعلمًا نافعًا وهديًا قيِّمًا»، قال معاوية بن قرة راوي هذا الأثر أو هذا الدعاء عـن أبـي الـدرداء: «فـإن مـن الإيمان ما ليس بدائم، وإن من العلم ما ليس بنافع، وإنَّ مـن الهـدي مـا لـيس بقـيِّم»؛ ممَّـا يتطلـب مـن المسلم أن يحسن اللُّجوء إلىٰ الله ﷻ أن يمنَّ عليه بالإيمان الدائم والعلم النـافع والهـدي القـيم، ويُتبـع الدعاء ببذل الاسباب كما قال عليه الصلاة والسلام: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**».

الأمر السَّادس: الدَّعوة إلىٰ هذا الخير الذي وفقه الله ﷻ للعلم به والعمل، ولابد من الدعوة وإلا فإن الإنسان يكون خاسرًا، قد قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر]، لابد من العناية بهذه الدعوة.

أولًا: حفاظًا علىٰ المكتسبات التي عند العبد مما منَّ الله ﷻ عليه بها.

وثانيًا: لينتشر دين الله ﷻ، فيؤجر هذا الداعي بحسب ما يسَّره الله ﷻ له من دعوة وما منَّ الله عليه به من إبلاغٍ لدين الله، وفي الحديث «**لأَنْ يُهْدَىٰ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم**»، في الحديث الآخر: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**الدَّالُّ عَلَىٰ الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ**»، والأحاديث في هذا الباب عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه كثيرة.

ونكتفي يومنا هذا بهذا القدر، ونسأل الله ﷻ أن يتقبل منا ومنكم صـالح الأعمـال، وأن يغفـر لنـا

ذنبنا كله؛ دقه وجلَّه، أوله وآخره، سره وعلنه، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنَّه تبارك وتعالىٰ غفورٌ رحيم، والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثالث

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد؛ **فسأتحدث في هذا اللِّقاء فيما يتعلَّق بهذا المدخل لدراسة العقيدة عن أمرين:**

الأول: خصائص العقيدة الإسلامية المستمدَّة من كتاب الله تبارك وتعالىٰ وسنَّة نبيِّه عليه الصلاة والسلام.

والأمر الثاني: أتحدث فيه بإذن الله عن بعض خصائص أهل السنة والجماعة؛ حملة هذه العقيدة والدعاة إليها.

فنبدأ أولًا بما يتعلَّق بخصائص هذه العقيدة العظيمة المباركة عقيدةُ أهل السُّنّة والجماعة؛ فهذه العقيدة العظيمة لها خصائصُ عظيمة ومزايا عديدة تدلُّ علىٰ عظمة هذه العقيدة وتميُّزها وفضلها وعِظم شأنها ورفعة مكانتها.

فمِن هذه الخصائص التي امتازت بها العقيدة الإسلامية: أنها عقيدةٌ مستقاةٌ ومستمدة من كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، فمصدرها وحي الله وتنزيله في ضوء ما جاء في كتابه وسنة نبيه صلوات الله وسلامُه عليه، فهذا مورد العقيدة وهذا مصدرها وهذا منبعُها.

ومن يطالع العقائد الأخرىٰ يجد لها موارد متباينة ومصادر متعدِّدة نشأ عنها اختلاف الاعتقاد والتناقُض والاضطراب وكثرة الافتراق، أمَّا من أكرمهم الله ﷻ بهذه العقيدة المستمدَّة من كتاب الله جل وعلا وسنَّةِ نبيِّه ﷺ فقد سلِموا من ذلك كلِّه، وكما قيل: من ورد المورد الأوَّل وجد بقيَّة الموارد كدِرة؛ فمن نهل من معين الكتاب والسنة وأخذ منهما الدِّين صافيًا نقيًّا يسْلمُ بإذن الله تبارك وتعالىٰ ممَّا ابتُلي به أرباب المصادر المختلفة من عقائد متباينة وآراءٍ زائفة وتصوُّراتٍ خاطئة وأفهامٍ ضائعة يسمُّونها اعتقاد.

ثانيًا من خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة: أنها عقيدةٌ موافقةٌ للفطرة السَّليمة والعقل المستقيم، فهي ليست عقيدةً مصادمةً للفِطر ومصادمةً للعُقول السليمة؛ بل هي عقيدةٌ موافقة للفطرة ويقبلها العقل السَّليم ويجد فيها بُغيته وسدَّ حاجته؛ ففي كلِّ قلبٍ حاجةٌ مُلحَّة وعطشٌ شديد لا يمكن أن يُسد إلا بالاعتقاد السَّليم، ولا يمكن أن يَرْوىٰ إلا بالاعتقاد السليم.

ومن كان علىٰ غير اعتقادٍ سليمٍ لا يجد فيما يعتقده ما تَحْصُل به بغية القلوب وتحقُّق راحتها، قد قال الله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم]، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**كُلُّ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّىٰ تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا**»، وفي «صحيح مسلم» من حديث عياض المُجاشعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالىٰ: خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**».

فالحاصل أنَّ العقيدة الإسلامية الصَّحيحة المستمدَّة من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام هي عقيدةٌ موافِقةٌ للفطَر وموافقة للعقول السليمة. وصاحب العقل السليم عندما يعرف هذه العقيدة ويقف علىٰ أدلتها وبراهينها يجد أنها لا تصادم عقله السليم ولا تعارضه، وقد قيل لأحدهم: بما عرفت صدق الرسول ﷺ؟ قال: "ما وجدته أمَر بشيء وقال العقل: ليته لم يأمر به، ولا نهىٰ عن شيء وقال العقل: ليته لم ينهَ عنه"، بمعنىٰ: أن ما جاء به الرَّسول ﷺ وأعظمه العقيدة ليس أمرًا مصادمًا للعقول.

وهذا فيه فائدة لمن يربِّي الناس ويربي النَّشء علىٰ العقيدة أنه لا يحشر فيهم شيئًا يباين ما جُبِلُوا عليه؛ بل يدعوهم إلىٰ أمرٍ يوافق الفطر وتقبله العقول السليمة، بخلاف العقائد الباطلة؛ لكونها تُزاحم الفطرة وتصادِمُها وتعارض العقل وتباينه يحتاج أربابُها إلىٰ أساليب ملتوية لحشو تلك العقائد الزَّائفة في قلوب النَّاشئة بكذبٍ أو تلفيقٍ أو حكاياتٍ مخترعةٍ أو مناماتٍ مدَّعاةٍ أو نحو ذلك من أمورٍ يحاولون بها تنفيق وترويج تلك العقائد الباطلة الزَّائفة.

ثالثًا من خصائص هذه العقيدة العظيمة المباركة: سلامتها من التناقض والاضطراب، بخلاف غيرها من العقائد؛ فإنَّها عقائد مضطربة ومتناقضة، وأهلها ليس لهم فيها قرار؛ بل هم مضطربون باضطراب عقائدهم، متناقضون بتناقض عقائدهم. أما العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة فهي سالمةٌ من ذلك كله، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]، ويقول تبارك وتعالىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]، فالعقيدة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة بعيدة عن الباطل وسالمة منه ولا يأتيها

الباطل؛ لأنها مأخوذةٌ من النَّبع الصافي والمورد العذب، أمَّا العقائد الأخرىٰ فما أكثرَ ما فيها من اضطرابٍ وتناقضٍ وتعارض واختلاف، بل هم في ﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات].

رابعًا من خصائص هذه العقيدة العظيمة المباركة: الوضوح وعدم الغموض؛ فهي عقيدة واضحة ومعالمها بينة وظاهرة وليس فيها اشتباه أو غموض، بخلاف عقائد المبطلين؛ فكم يكتنفها من غموض وكم يداخلها من اشتباه! أما العقيدة الإسلامية فهي واضحة في مسائلها ودلائلها؛ فمسائل العقيدة الإسلامية والتفاصيل المتعلقة بالعقيدة الإسلامية هي أمور واضحة ومعالم بيِّنة وأمور ظاهرة ليست ملتبسة أو مشتبهة أو غامضة.

وكذلك الدلائل؛ تجد الدَّليل واضح وظاهر وبيِّن، فهي عقيدة واضحة ليس فيها غموض لا في المسائل ولا في الدلائل. بينما العقائد الأخرىٰ في كثيرٍ منها غموض واشتباه وعدم وضوح، حتىٰ إنَّ بعض أرباب أصحاب تلك العقائد يصرِّحون، ومن أغرب ما في هذا الباب أن بعض المتكلِّمين ذكر مقدمات وعرة جدًّا وغامضة في دلائل إثبات وجود الله، وذكر أنها لا يمكن أن يعرفها إلا من هو راسخ في العلم، ثم بعد ذلك بقليل قال: ولا نجاة من النار إلا بمعرفتها، وهي أشياء غامضة، يقول نفسُه: لا يعرفها إلا الراسخ في العلم!!

فالعقائد التي قامت علىٰ الفلسفات وعلىٰ الآراء وعلىٰ العقليات فيها غموض، ويدرك غموضَها أصحابها، أحدهم يقول -كما نقل ذلكم شارح العقيدة الطحاوية- أحد كبار هؤلاء يقول كلامًا معناه: آوي إلىٰ فراشي في الليل وأغطي رأسي أو وجهي بالملحفة وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء يعني المتكلِّمين، وأُصبح -يعني ما ينام الليل علىٰ فراشه يتقلَّب- يقول: وأصبح ولم أفهم شيئا. بينما العقيدة المستمدة من الكتاب والسنة واضحة تمامًا وضوح الشمس، ظاهرة بيِّنة ليس فيها اشتباه ولا التباس.

الأمر الخامس من خصائص هذه العقيدة العظيمة المباركة: أنها تؤلِّف بين القلوب المتناثرة وتجمع بين النُّفوس المتعادية. وشأن العقيدة في هذا الباب عجبٌ؛ بل ليس هناك ما يمكن أن يؤلِّف بين القلوب حقًّا ويجمع بين النفوس ويُزيل العداوات مثل الاعتقاد الصحيح؛ بل من عظيم أمر الاعتقاد الصحيح في هذا الباب: أنَّه يجمع بين الجنس المختلف، فكيف بأهل الجنس الواحد؟ فالملائكة خُلقوا من نور، وبنو آدم خُلِقوا من طين، جنسٌ مختلف، لكن العقيدة ربطت بين هذين الجِنسين بين الملائكة وصالحي البشر. وتأمَّل هذه الرَّابطة العظيمة الوثيقة بين هذين الجنسين في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ

حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ **هذه العقيدة** ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ **[غافر]، دعاء واستغفار وسؤال الله تبارك وتعالىٰ للمؤمنين الجنَّة ومُداومة علىٰ ذلك، رابطة عجيبة وعظيمة مع أنَّ جنسهم آخر غير جنس البشر!!**

فالعقيدة هي التي تؤلِّف بين القلوب، تجمع بين المفترق وتؤلف بين المختلف، ﴿[وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ] لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ **[الأنفال:٦٣]، ألَّف بينهم** ﷻ **بهذا الإيمان وهذا الاعتقاد الذي اجتمعت قلوب أهل الإيمان عليه، ولهذا قال جل شأنه:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ **[الحجرات:١٠] إخوة بالإيمان، إخوة في الله، إخوة في الاعتقاد الصحيح، متحابين في الله متزاورين في الله متعاونين علىٰ طاعة الله** ﷻ.

أما الصِّلات التي توجد بين البشر في غير الاعتقاد الصحيح والروابط التي تنعقد بينهم في غير الاعتقاد الصحيح فهي كلُّها منفصمة ومنقطعة، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ **[البقرة]؛ أي: أسباب المودَّة، وقال الله تعالىٰ:** ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ **[الزخرف]، فهذه من الخصائص العظيمة المباركة للعقيدة الإسلامية المستمدَّة من كتاب الله وسنة نبيِّه** ﷺ.

سادسًا من خصائص العقيدة: أنَّها تُكسِب قلوب أصحابها الرَّاحة والطُّمأنينة، ولا يمكن للقلب أن يطمئن وأن يرتاح وأن يسعد إلا بهذه العقيدة، وبدونها فأمْرُه إلىٰ الشَّقاء وحياته إلىٰ النَّكَد، قد قال الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ **[النحل]، فالحياة الطيِّبة إنما تكون بالإيمان والعمل الصالح، وقال اللهُ تعالىٰ:** ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾ **[طه]، ونفي الضَّلال فيه ثبوت الهداية، ونفي الشَّقاء فيه ثبوت السَّعادة، فباتباع هُدىٰ الله** ﷻ **تكون الهداية وتكون السَّعادة. وقال الله تعالىٰ:** ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ **[طه]؛ أي: إنما أنزلناه عليك لتسعد. وقد ذُكِر في بعض كتب التَّفسير أن المشركين قالوا: إنَّ هذا القرآن أنزل علىٰ محمد ليشقىٰ به هو وأصحابُه، فأنزل الله:** ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾.

فالسعادة الحقيقية والراحة والطمأنينة للقلب لا تكون إلا بالعقيدة الصحيحة، ولهذا يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩﴾ **[الرعد]. وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ **في تقريرٍ له بديعٍ في هذا**

الباب، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ كلامًا معناه: القلب إنما خُلق لتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا خرَج عن الأمر الذي خُلق له حصل له اضطراب، فحاجةُ القلب إلىٰ التَّوحيد وحاجة القلب إلىٰ ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كحاجة السَّمكة إلىٰ الماء؛ فالسَّمكة إذا حُبست عن الماء ماتت، والقلبُ بلا توحيد يموت.

ومن خصائص هذه العقيدة: أنها عقيدةٌ وسط وعقيدةٌ قوَام، ليس فيها غلوٌّ ولا جفاء، وليس فيها إفراطٌ ولا تفريط، بخلاف العقائد الأخرىٰ؛ فتجد إمَّا عقيدةٌ تنحىٰ إلىٰ جانب الغلوّ، أو عقيدة تنحىٰ إلىٰ جانب الجفاء والتَّقصير. بينما العقيدة الصَّحيحة قوامٌ بين ذلك، وما من أمرٍ من أمور الدِّين عقيدة كان أو شريعة إلا والناس فيه ثلاثة أقسام: غلاةٌ، وجفاةٌ، وأهل توسطٍ واعتدال.

وأهل التوسُّط والاعتدال هم الذين يلزمون الحق والهدىٰ الذي جاء في كتاب الله جل شأنه وفي سنة رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

ونكتفي بهذا القدر من الخصائص لهذه العقيدة الإسلامية، وما ذكرتُه إنما هو علىٰ سبيل الإشارة والمثال، وليس علىٰ سبيل الجمع والحصر، لننتقل بعد ذلكم إلىٰ ذكر خصائص أهل السنة والجماعة، خصائص حملة هذه العقيدة المستمدة من الكتاب والسنة والدعاة لها علىٰ نورٍ وعلىٰ بصيرة، فما هي خصائصهم؟

لأهل السنة والجماعة خصائص كثيرة، من هذه الخصائص:

أولًا: أن أهل السنة ليس لهم شيء ينتسبون إليه من أشخاصٍ أو أعمالٍ أو نحو ذلكم إلا السنة، والمراد بالسنة التي ينتسبون إليها: أي الإسلام الصافي الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بعيدًا عن مغالطات المغالطين، ومزايدات من يزيدون في الدين ويُدخلون فيه ما ليس منه، أو يجفون فينتقِصون منه ما هو منه وداخلٌ فيه. فالسنة المراد بها: الدين الصافي الذي جاء به النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

فأهل السنة ليس لهم اسم إلا السنة، ولهذا لمَّا سئل الامام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من هُم أهل السنة؟ قال: من ليس لهم اسمٌ إلا السُّنّة، ليس لهم أسماء، قال: كالجهمي، والرافضي، والقدري، وذكر أسماء. ومن سواهم إما أن ينتسبوا إلىٰ شخصٍ ابتدع لهم بدعة فتلقَّوها عنه وانتسبوا إليه فيما ابتدع لهم من الدِّين، أو ينتسبون إلىٰ البدعة نفسها؛ كالقدرية لبدعتهم في القدر، والرافضة في الرفض، والخوارج في الخروج، وهكذا.

أما أهل السنة فلا ينتسبون إلا إلىٰ السنة، والمراد بالسنة: الإسلام الخالص الصَّافي، والله يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]، والمراد بانتِسابهم للسنة: هو الانتساب الحقيقي، لا الانتساب بالدَّعوىٰ، لأنَّ من ينتسبون إلىٰ السنة بالدعوىٰ كثُر، وكما قيل: كلًّا يدَّعي وصلًا لليلىٰ، والدعاوىٰ إذا لم يُقَم عليها بينات فأهلها أدعياء. فمن خصائص أهل السنة العظيمة: أنهم ليس لهم أسماء ينتسبون إليها إلا السنة وما كان في هذا المحيط مثل: «أهل الأثر»، «أهل الحديث»، «أهل الاتباع»، «أهل السنة والجماعة» ونحو ذلكم من الأسماء.

ثانيًا من خصائص أهل السنة: أنَّ قولهم في الاعتقاد قولٌ واحد، سواءً اختلف اللسان أو اختلف المكان أو تباعد الزمان، قولهم واحد في الاعتقاد؛ فتجدهم وإن اختلفت ألسنتهم أو تباعدت أزمانهم أو تباينت أماكنهم علىٰ قولٍ واحد، فإذا قرأت كتابًا في العقيدة أُلف مثلًا في القرن الثالث، وكتابًا في العقيدة أُلِّف في القرن العاشر مثلًا لأهل السنة تجد القول واحد، والسبب في هذا الاتفاق: أن المورد واحد وهو كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام. أما من اختلفت مواردهم -حتىٰ وإن كان المورد الذي يأخذون عنه واحدًا- فتجدهم متعارضين. علىٰ سبيل المثال: من يأخذون عقائدهم من العقل مثلًا هل يكونون علىٰ عقيدة واحدة؟ أبدا، لأن العقول متفاوتة. وإذا قيل: إن الاعتقاد يؤخذ من العقل، يقال: عقل من؟! العقول متباينة ومتضاربة ومتعارضة. ولهذا قال بعض السلف: «لو كانت الأهواء هوًىٰ واحدًا لقيل: إنه الحق، لكنها أهواء».

الشاهد: أن من خصائص أهل السنة والجماعة أنَّ قولهم واحد، عقيدتهم واحدة، كلمتهم في الاعتقاد واحدة، المتقدِّم منهم والمتأخر، وإن اختلف اللسان وإن اختلف المكان، السبب في ذلك أن منبعهم واحد.

ثالثًا: من خصائصهم: اقتصارهم في الاحتجاج والاستدلال والتلقِّي علىٰ كتاب الله وسنة نبيِّه عليه الصلاة والسلام، وبهذا الاقتصار علىٰ الكتاب والسُّنّة سلِموا من الضلال، قد قال عليه الصلاة والسلام: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا؛ كِتَابَ اللهِ وسُنَّتِي**»، وكان عليه الصلاة والسلام إذا خطب الناس يوم الجمعة يقول: «**أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، ولما أشار عليه الصلاة والسلام إلىٰ وجود الافتراق والاختلاف في الأمة نبَّه إلىٰ أن السلامة منه لا تكون الا بلزوم السنة، كما في حديث العرباض بن سارية أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِىٰ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**

وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ». ولهذا أهل السنة دائمًا وأبدًا يدورون مع الكتاب والسنة فيما يُثبِتون وفيما ينفون.

كما قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (ندور مع السنة حيث دارت) أي: نفيًا وإثباتًا (فما ثبت في الكتاب والسنة أثبتناه، وما نُفي فيهما نفيناه).

ويقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (نصِف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث).

ويقول الإمام الزهري؛ محمد بن شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (من الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التسليم).

رابعًا من خصائص أهل السنة والجماعة: الحرص علىٰ الاتباع والائتلاف، والبعد عن الابتداع والافتراق؛ ولهذا كان من أماراتهم الواضحة؛ بل ومن المُلازم لهم تلقيبهم بهذا اللقب الشَّريف «أهل السنة والجماعة»؛ أهل السّنّة: لحرصهم علىٰ اتباع السنة ولزومها والتمسُّك بها. والجماعة: لكونهم حريصين أشد الحرص علىٰ الائتلاف والاجتماع علىٰ كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ.

فهذا من خصائصهم؛ أنَّهم حريصون أشدّ الحِرْص علىٰ الاتِّباع لسنة النبي عليه الصلاة والسلام، ولهذا سُمُّوا أهل سنة، وحريصون علىٰ لزوم الجماعة والبعد عن الفرقة ولهذا سُمُّوا أيضًا أهل الجماعة. بخلاف من سواهم فهم أهل بدعةٍ وفُرقة.

وينبغي أن يُعلم في هذا الباب: أنَّ السُّنّة تجمع والبدعة تفرِّق، لا يمكن أن يكون الإنسان صاحب بدعة ويتحقق علىٰ يديه اجتماع؛ لأن البدعة لا تجمع، الذي تجمع هي السنة. ولهذا قال بعض العلماء المتقدِّمين في شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام: «**وَلَا تَبَاغَضُوا**»: في قوله عليه الصلاة والسلام «لا تباغضوا» نهيٌ عن البدعة، لأن البدعة توجِد البغضة وتوجِد الفرقة، بينما السنة هي التي تجمع. فمن خصائصهم: أنهم أهل سنةٍ وجماعة، أهل اتِّباعٍ للسنة ولزومٍ للجماعة.

الأمر الخامس من خصائص أهل السنة: أنهم أهل وسطية واعتدال، وكما أن الإسلام وسط في الملل التي قبله، فأهل السنة وسط في هذه الأمة بين الفرق المنتسبة للإسلام، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة:١٤٣]، وخيار الأمور أوساطها لا تفريطها ولا إفراطها. فأهل السنة أهل اعتدال وتوسُّط، ليس عندهم غلو ولا جفاء، وليس

عندهم إفراط ولا تفريط، وإذا تتبَّع المنصِف أقوالهم في العقيدة في جميع أبوابها يجد أنَّ أقوالهم وسط بين ضلالتين، وهدًى بين باطلين، وحسنة بين سيِّئتين.

الأمر السَّادس من خصائص أهل السنة والجماعة: البُعد عن المِراء والخصومة في الدِّين؛ والمِراء والخصومة مذموم، قد قال الله ﷻ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف]، وإذا أوتي الإنسان الجدل وابتُلي به حُرم العمل، ولهذا كان أرباب الكلام الباطل من أبعد الناس عن لزوم الأعمال الشَّرعية –فرضًا كانت أو نفلًا– وأضعفهم قيامًا بها.

والدِّين لا يجوز أن يُجعل عُرضةً للخصومات وغرضًا للخصومات؛ بمعنىٰ أن يجتمع الشَّخصين أو أكثر علىٰ خصومةٍ في الدِّين وينظرون من الغالب ومن الذي سيغلب، قد قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (من جعل دينه عرضةً للخصومات أكثر التنقل)، وقال السلف رحمهم الله: إياكم والخصومة في الدين، فالذي يجعل دينه عرضة للخصومات لا يقر علىٰ عقيدة واحدة، تجده بسبب الخصومات يتنقَّل، يوم في عقيدة واليوم الآخر في عقيدة أخرىٰ بسبب الخُصومة والجدل.

ولهذا أحد السَّلف جاءه رجل ليناظره قال له: (أمَّا أنا فعلىٰ بينة من ديني –يعني ديني واضح عندي– وأمَّا أنت فرجلٌ شاكّ فابحث عن رجل شاكٍّ مثلك فناظره)، أنا علىٰ بينة الدِّين واضح عندي، وهذا يقوله مثل هذا العالِم لزجر هؤلاء عن باطلهم ونهيهم عنه وبيان فساده وبطلانه.

ولهذا أيضًا جاء في بعض الآثار أنَّ رجلًا من أهل البدع أتىٰ إلىٰ الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وقال: "أريد أن أتناظر معك"، فقال له الإمام مالك: فإن غلبتك؟! قال: أتَّبعك، قال: فإن غلبتني؟!» قال: تتبعني، قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن جاء شخص ثالث وغلبنا؟، قال: نتبعه، قال: يا هذا الدين ليس لمن غلب، ما هي المسألة مثل ما يقول العوام: عَرْض عضلات والذي يغلب هو صاحب الحق، قد يكون صاحب الحق ليس عنده حجة والآخر عنده لحنٌ بحجته، فقد يُسكته وقد يقطعه في باب الاستدلال أو نحو ذلك، فالدين ليس لمن غلب، الدين قال الله قال رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

ولهذا يجب أن ينتهي العوام وطلاب العلم الصِّغار عن مناظرة ومناقشة أصحاب البدع وأصحاب الضَّلالات، لأنهم يلبِسون عليهم دِينهم ويشبِّهون عليهم في عقائدهم ويُدخلون عليهم في قلوبهم أشياء ربَّما تدخل ولا تخرج. فمن خصائص أهل السُّنّة: بُعدهم عن المِراء والخصومة في الدِّين.

الأمر السابع من خصائص أهل السنة: سلامة قُلوبهم وسلامة ألسنتهم؛ فقلوبهم سالمة من الغِل

والحِقد والضَّغائن، وعامرة بمحبَّة الخير والنصح لعباد الله ورحمة الخلق والرِّفق بهم، وألسنتهم أيضا سليمة ليس فيها طعن أو لعنٌ أو سباب أو شتائم أو نحو ذلك، قد قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]، فذكر جلَّ شأنه في هذه الآية سلامة القلب وسلامة اللِّسان؛ سلامة القلب في قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وسلامة اللِّسان في قوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾.

ثامنًا من خصائص أهل السُّنّة والجماعة: كرم أخلاقهم وحسن صفاتهم وجمال آدابهم وحُسن سمتهم وهديهم، متَّبعين في ذلك هدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، والخُلُق الفاضل مرتبط بالاعتقاد السليم، قد قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»، ولهذا الارتباط بين العقيدة والخُلُق؛ فإن شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ختم كتابه «العقيدة الواسطية» بذكر الآداب الفاضلة والأخلاق الجميلة الرَّفيعة العالية التي هي حِلية أهل الاعتقاد الصَّحيح وزِينة أهل الإيمان القويم المُستمد من كتاب الله وسنَّة رسوله صلوات الله وسلامُه عليه.

تاسعًا من خصائص أهل السنة والجماعة: الاشتغال بجميع أبواب الدِّين دعوةً ونصحًا وعنايةً بها، بخلاف غيرهم! فتجد فيهم من يعتني مثلًا بالفضائل والآداب ويُهمل العقائد ويفرِّط فيها، وتجد من يشتغل أيضًا بجوانب أخرىٰ ويُهمل بالمقابل جانبًا آخر؛ بل ولا يكتفي بإهماله بل ربَّما صدَّ عنه وحذَّر منه ونهىٰ عن الاشتغال به، فتجد مثلًا من يشتغل مثلًا في جانب الفضائل والآداب ونحو ذلك من ينهىٰ عن العلم وعن مجالسه ويرىٰ أن العلم معوقًا، وتجد أيضا من اشتغل بأمور أخرىٰ ربما صد عن العقيدة وعن مذاكرتها ومدارستها والجلوس لتعلُّمها وحذَّر من ذلك، إلىٰ غير ذلكم من الأمور التي توجد عند من يخالف نَهج أهل السنة والجماعة. بينما أهل السنة مُعتنون بأبواب الدِّين جميعها نصحًا ودعوةً وتعليمًا وبيانًا وإرشادًا وتوجيهًا، فهذا أيضا من الأمور التي هي من خصائص أهل السنة والجماعة.

وخصائص أهل السنة والجماعة كثيرة وعديدة، وما ذكرتُه هنا إنَّما هو علىٰ سبيل الإشارة والمثال، ليس علىٰ سبيل الحصر. ونكتفي بهذا القدر، والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الرابع

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد.. بقي لنا في هذا المدخل لدراسة العقيدة الحديث عن بعض مصنَّفات أهل السنة والجماعة في العقيدة، والتعريف بها ولو بكلام مجتزأ أو ألفاظٍ مختصرة، وسأقتصر في هذا علىٰ ذكر بعض مصنَّفات أئمة السلف المتقدِّمين ممَّن كانت مصنَّفاتهم معتنىٰ فيها بذكر الأسانيد إلىٰ النبي ﷺ أو إلىٰ قائليها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وقبل ذلكم ينبغي أن نعلم أن جهود السلف في التَّصنيف في العقيدة وبيانها جهود عظيمة وكبيرة، وعنايتهم فيها عناية مباركة، وقلَّ من إمامٍ من أئمة السلف رحمهم الله تعالىٰ إلا وتجد له في الاعتقاد مصنف أو مصنفات؛ بيانًا لهذه العقيدة وإيضاحًا لها ونصرةً لها وذبًّا عنها.

وهذه المصنَّفات في العقيدة هي ما بين مصنَّفٍ قائمٍ علىٰ التأصيل والتقرير والبيان والإيضاح لهذه العقيدة وذكر الدلائل والشَّواهد لها، أو مصنَّفٍ قائم علىٰ الردِّ علىٰ المخالفين وإبطال عقائدهم وتفنيد شبهاتهم ودحض دعاواهم الزائفة الباطلة.

وكذلكم مصنَّفاتهم هي ما بين مطوَّلٍ ومختصر؛ فهناك مصنفات لأئمة السَّلف مطوَّلة وموسعة ببسط الاعتقاد وتقريره وبيان جوانبه المتنوّعة والاستدلال لها، وبين متون مختصرة في تقرير العقيدة.

وكذلكم جهودُهم في تقرير الاعتقاد ما بين نظمٍ ونثر؛ فهناك للسَّلف رحمهم الله في تقرير الاعتقاد منظومات عظيمة وافية في تقرير العقيدة، وهناك ما هو نثرٌ وهو كثير.

وسأشير إلىٰ بعض المصنَّفات لأئمة السَّلف رحمهم الله تعالىٰ علىٰ وجه الاختصار مقتصرًا كما أسلفت علىٰ ما كان منها مسنَدًا يسوق الرِّوايات بأسانيدها إلىٰ قائليها وأصحابها.

- **فمن ذلكم كتبٌ عديدة للسَّلف الصَّالح رحمهم الله تعالىٰ في تقرير المعتقد كُتبت باسم «الإيمان»**، وفي هذا عدَّة مصنَّفات:

- منها: «الإيمان» لأبي عُبيد القاسم بن سلام، المتوفىٰ سنة ٢٢٤.
- ومنها: «الإيمان» لابن أبي شيبة، صاحب «المصنَّف»، المتوفىٰ ٢٢٥.

- ومنها: كتاب «الايمان» لمحمد بن يحيىٰ العدني، المتوفىٰ ٢٤٣.

- ومنها: كتاب «الإيمان» لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده، المتوفىٰ سنة ٣٩٥.

▪ **وهناك كتب للسلف كثيرة جدًّا في الاعتقاد سُمِّيت بـ«السنة»** وهي عديدة، والمراد بالسُّنة في هذه المصنَّفات: أي العقيدة المستمدة من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، بخلاف العقائد القائمة علىٰ البدع والأهواء والضَّلالات. ومن المصنَّفات في ذلك:

- «شرح السنة» للإمام المزني صاحب الإمام الشافعي رحمهما الله، والمزني متوفىٰ في ٢٦٤.

- وكذلك كتاب «أصل السنة»، وهو متنٌ مختصرٌ وجيزٌ نافعٌ للغاية للإمامين أبي زرعة الرازي المتوفىٰ ٢٩٤، وأبي حاتم الرازي المتوفىٰ ٢٧٧.

- وكذلكم من المصنَّفات التي سُمِّيت بهذا الاسم: «السنة» لابن أبي عاصم، وهو في مجلدٍ كبير وهو من الكتب الحافلة بالرِّوايات والنُّقول العظيمة في تقرير المعتقد في جوانبه العديدة، ومؤلِّفه الإمام ابن أبي عاصم متوفىٰ ٢٨٧.

- وكذلكم «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد ابن حنبل المتوفىٰ ٢٩٠.

- وكذلكم «السنة» لمحمد بن نصر المروَزي المتوفىٰ ٢٩٤.

- وكذلكم «السنة» لأبي بكر الخلَّال المتوفىٰ ٣١١. وكتاب «السنة» للخلَّال هو أيضا من الكتب الحافلة الموسوعية في جمع العقيدة بالآثار والروايات والنُّقول عن أئمة السلف رحمهم الله تعالىٰ في جوانب العقيدة المختلفة.

▪ **وهناك كتب في العقيدة سميت بـ«الشريعة»**، والمراد بالشريعة: أي العقيدة الصحيحة التي شرعها الله ﷻ وأذِن بها وأمر بها، **ومن ذلكم:**

- الكتاب العظيم المبارك المعروف بـ«الشريعة» للإمام الآجرِّي المتوفىٰ سنة ٣٦٠، وهو أيضًا من الكتب الموسوعية في الاعتقاد وتقريره، وهو جامعٌ في أبواب العقيدة المختلفة للدَّلائل والنُّقول والآثار العظيمة المروية عن السلف، مع تقريراتٍ بديعة وكلماتٍ نيِّرة لمصنِّفه الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

- ومثله تمامًا في السَّعة وكذلكم في التَّسمية «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومذهب أهل السنة» للإمام ابن بطة العُكبري المتوفىٰ ٣٨٧؛ فكتاب «الإبانة» لابن بطة هذا أيضًا من الكتب الحافلة

العظيمة لأئمة السلف رحمهم الله تعالىٰ.

▪ **هناك كتب عديدة للسلف في العقيدة سميت بـ«الاعتقاد» أو «المعتقد»**، وقد عرفنا فيما سبق أن هذا الاسم اسم شرعي، وجاء به حديثٌ عن رسول الله ﷺ، ودرج جماعةٌ من السلف رحمهم الله تعالىٰ علىٰ تسمية الكتب المصنفة في أصول الدين بهذا الاسم «الاعتقاد».

- ومن الكتب الحافلة الجامعة في أمور الاعتقاد المتنوِّعة: كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للإمام اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ المتوفّىٰ سنة ٤١٨، وهو كتابٌ يُعد من الكتب الموسوعية الجامعة.

حقيقةً الكتب التي هي تعتبر كتب جامعة في تقرير المعتقد عمومًا: كتاب «السُّنّة» لابن أبي عاصم، وكتاب «الإبانة» لابن بطة، و«الشريعة» للآجري، وكتاب «السنة» للخلَّال، وكتاب «شرح الاعتقاد» للإمام اللالكائي، وأيضًا ما سيأتي ذكره وهو كتاب «الحجة» للإمام قوام السنة التيمي، فهذه كتب تعتبر موسوعات حافلة في هذا الباب وجامعة لموضوعات العقيدة المتنوعة.

-كذلكم من المصنفات التي سميت بهذا الاسم «الاعتقاد»: كتاب أبي بكر الإسماعيلي المتوفىٰ ٣٧١ المسمىٰ بـ«اعتقاد أئمة أهل الحديث».

- وكذلكم كتاب الإمام الصَّابوني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ المتوفىٰ سنة ٤٤٩ المسمىٰ بـ«عقيدة السلف أصحاب الحديث»، وهناك كتب عديدة بهذا الاسم.

▪ **وهناك كتب لأئمة السلف رحمهم الله في تقرير العقيدة سميت بـ«التوحيد»**، ومن هذه الكتب:

- كتاب «التوحيد» للإمام بن خزيمة، المتوفىٰ سنة ٣١١.

- وكتاب «التَّوحيد» للإمام ابن منده، ومر معنا اسمه وتاريخ وفاته.

- وكتاب «الحجة في بيان المحجَّة في شرح التوحيد ومذهب أهل السنة» لقَوَام السنة التيمي، المتوفىٰ سنة ٥٣٥، وهو مطبوع في مجلدين، وهو كتابٌ نفيس ومفيد فائدة عظيمة جدًّا في بابه.

▪ **وهناك كتب لأئمة السلف أُلِّفت في الرَّدِّ علىٰ المخالفين من أهل البدع والأهواء والضلالات** وهي أيضًا كثيرة جدًّا، ومن هذه الكتب:

-كتاب «الرد علىٰ الجهمية» للإمام أحمد ابن حنبل، المتوفىٰ ٢٤١.

- وكتاب «الرد علىٰ الجهمية» للإمام عثمان ابن سعيد الدارمي، المتوفىٰ ٢٨٠.

-وكذلك كتابه النقض لكلام بشر بن غياث المريسي؛ «نقض الدَّارمي علىٰ بشر بن غياث المرِّيسي»، وبِشر بن غياث من رؤوس المعتزلة وكبرائهم.

-وكذلكم كتاب «الرَّد علىٰ الجهمية» لابن منده، المتوفىٰ ٣٩٥، وقد تقدَّم ذكره والإشارة إلىٰ بعض مصنَّفاته.

والكُتب في باب الرَّدّ علىٰ المخالفين لأئمة السلف عديدة، وهذه المذكورة هنا هي بعضها.

▪ **وهناك كتب لأئمة السلف في العقيدة اعتنت أو تخصَّصت بجوانب معينة ومسائل معينة من الاعتقاد،** مثل علىٰ سبيل المثال:

- «خلق أفعال العباد» للإمام البخاري، المتوفىٰ ٢٥٦.

- وكتاب «العرش وما رُوي فيه» لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة، المتوفىٰ ٢٩٧.

- وكتاب «التَّصديق بالنَّظر إلىٰ الله» للإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب كتاب الشَّريعة المتقدم ذكره.

- وكتاب «رؤية الله».

- وكذلك كتاب «الصِّفات» للإمام الدارقطني، المتوفىٰ ٣٨٥.

وهناك كتب عديدة في هذا المجال.

▪ **أيضًا ممَّا يُشار إليه هنا أن أئمة السلف الذين صنفوا مصنفاتٍ جامعة في الحديث -سواءً من اشترط الصحة منهم كالبخاري ومسلم، أو من لم يشترط الصحة كأصحاب السنن كلهم- وضعوا في هذه الكتب الجامعة كُتبًا خاصة في الاعتقاد؛** فمثلًا:

- الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ له في كتابه الصحيح: «كتاب الإيمان» في أوَّله، و«كتاب التوحيد» في خاتمته، و«كتاب الاعتصام».

- والإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ له في كتابه الصحيح: «كتاب الإيمان».

- الإمام النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ له «كتاب النُّعوت» في كتابه «السنن».

- والإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ له «الرد علىٰ الجهمية» في كتابه «السنن».

- ومقدمة «سنن ابن ماجه» هي في تقرير المعتقد.

الشاهد أن هؤلاء الأئمة الذين كتبوا مصنفات جامعة في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام خصَّصوا كتبًا خاصةً في الاعتقاد.

- **ومن أئمة السلف رحمهم الله كما قدمت من لهم منظومات نافعة في تقرير العقيدة**، ومن هؤلاء:

- الإمام ابن أبي داود ابن صاحب السنن، له «منظومة حائية» أوَّلها قوله:

تمسك بحبل الله واتّبع الهدىٰ ولا تكن بدعيًّا لعلك تُفلح

في تقرير العقيدة والرد علىٰ المخالفين، جمع فيها مع وجازتها -أبياتها ثلاث وثلاثين بيتًا- جمع فيها بين تقرير العقيدة والرد علىٰ المخالفين لها، وأيضا ضمَّنها رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ذِكر الأدلة. وهذه المنظومة لها شروحات قديمة وحديثة، وممن شرحها: الإمام ابن البنا، وكذلك الامام السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ «لوائح الأنوار البهية» وهو مطبوع في شرح هذه المنظومة؛ منظومة ابن أبي داود الحائية.

-كذلكم من المنظومات الجيدة في العقيدة: «الرائية للزنجاني»، ولمصنِّفها رَحِمَهُ اللَّهُ شرحٌ عليها ولكنه لم يوجد كاملًا، وهذه المنظومة طُبعت مؤخرًا مع ما وُجد من شرحها، وما لم يوجد من شرحها أكملتُه بشرحٍ لها وطُبعت في وقت قريب، للإمام الزنجاني رَحِمَهُ اللَّهُ وهي رائية نفيسة جدًّا في تقرير العقيدة.

وبعد هؤلاء الأئمَّة أيضًا وجدت جهود كبيرة جدًّا وضخمة في تقرير العقيدة والتأليف فيها والانتصار لها والرد علىٰ المخالفين لها، ومن أوسع الجهود وأكبرها في هذا الباب جهود الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قيَّض هذا الرجل العظيم للكتابة في العقيدة والتَّقرير لها والرَّدِّ علىٰ المخالفين وتتبع شبهاتهم، فما تكاد تجد شبهةً لصاحب بدعة إلا وتجد عند شيخ الإسلام وجوه كثيرة في نسْفِها وإبطالها، وكان يكتب في الرد علىٰ الشبهة الواحدة وجوه كثيرة جدًّا، وأعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حافظة واسعة واطِّلاع كبير علىٰ جهود أئمة السلف وحِفظ للمروي والمأثور عنهم وبراعة عظيمة في نقد المخالفين، وكان إذا أُوردت الشُّبهة له أجاب عليها من ساعته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وممَّا يُذكر في هذا الباب أنه رَحِمَهُ اللَّهُ أَرسل له بعض المخالفين بورقة -وقيل إن هذه الورقة كتبوها أكثر من مرّة، يكتبونها ثم يمزقونها ويكتبونها مرةً ثانية إلىٰ أن اتفقوا علىٰ تلك الورقة وأرسلوها لشيخ الإسلام ابن تيمية- فقال لحامل الورقة: أخبرهم أن هذا الكلام الذي كتبوه في هذه الورقة -وهو يتعلق بكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أن هذا الكلام باطل من وجوه؛ الأول.. الثاني.. بدأ يعدّ له، قال: لا ما أستطيع أن أنقل لهم اكتبه لي، فكتب رَحِمَهُ اللَّهُ في جلسته تلك تسعين وجهًا في إبطال قول أولئك في الكلام النفسي، وطُبعت في ثلاث مجلدات، وكانت في ثلاث مجلدات: لأنها أضيف لها ما يسمَّىٰ بأعمال التحقيق.

نظم رجل -يقال: إنه رجل من أهل الذِّمة- منظومة فيها التشكيك في أمور القدر، وجيء بهذه

الأبيات لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ للرد علىٰ الشبهات التي أثارها ذلك الرَّجل، ففي جلسته رَحِمَهُ اللَّهُ أخذ قلمًا وورق وبدأ يكتب، فعرف الحاضرون أنه جلس يردّ علىٰ تلك الشُّبه، وفوجئوا لما انتهىٰ وإذا به كتب منظومة في الرد علىٰ تلك الشُّبه علىٰ نفس الوزن ونفس القافية، وهي مطبوعة، وكُتب أيضًا حولها شروحات عديدة بعنوان «التَّائية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في ردّ شبهة أهل القدر، وهي منظومة عجيبة جدًّا وكتبها في مجلسٍ واحد.

«الواسطية» هذا الكتاب العظيم المبارك الذي قُرئ في مجالس كثيرة وكُتبت حوله شروحات كثيرة كتبه في جلسة واحدة بعد صلاة العصر بعد أن ألح عليه رجلٌ من القضاة من أهل واسط ألح عليه واعتذر، وأمام إلحاحه جلس وكتب تلك العقيدة المباركة، التي في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ انتشرت انتشارًا واسعًا فكيف بعد حياته رَحِمَهُ اللَّهُ! وكيف بهذا الزَّمان زمن المطابع؟ لأن في الزمان الأول ما كان الكتاب ينتشر إلا بنسخه بالأقلام، ونسْخ الكتاب بالأقلام يحتاج إلىٰ وقت، أما الآن المطبعة تطبع العشرة آلاف والعشرين ألف والثلاثين والمائة والأكثر في لحظة واحدة، والأنترنت أعجب وأعجب في النشر! فكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ «الواسطية» من الكتب العظيمة التي بارك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها وانتفع بها خلقٌ كثير من طلبة العلم.

ثم أيضًا لتلاميذه من أمثال ابن القيم، وابن كثير، وكذلك الإمام الذهبي، وغيرهم من الأئمة جهود عظيمة ومباركة في تقرير العقيدة.

وأيضًا مضىٰ أهل العلم في الكتابة في الاعتقاد إلىٰ أن قيَّض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإمام المُصلح المجدد شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ فكتب كُتبًا من أعظمها كتابه «التوحيد»؛ وهو كتاب عظيم مبارك علىٰ طريقة السَّلف وعلىٰ نهجهم وجادَّتهم. وأيضًا كتب كُتبًا أخرىٰ عظيمة ونافعة بارك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها بركة عظيمة جدًّا ونفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها نفعًا كبيرًا وطرَح أو جعل لها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبولًا في الناس، وانتشرت ودُرِّست وشُرحت وكُتب حولها في الشروحات الكثيرة وترجمت أيضا إلىٰ اللغات العديدة، فنفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها نفعًا عظيمًا.

ولعلنا نكتفي بهذا القدر فيما يتعلق بالمصنفات لأئمة السلف رحمهم الله تعالىٰ في تقرير الاعتقاد لننتقل إلىٰ موضوعنا الأخير الذي هو خاتمة الحديث في هذا المُلتقىٰ الذي نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُبارك فيه؛ وهو عن **الثِّمار والآثار المباركة والعظيمة التي يجنيها صاحبُ العقيدة الصَّحيحة في دنياه وأخراه.**

وثمار العقيدة كثيرة جدًّا وآثارها المباركة عديدة ومتنوعة، وكل خير وبركة يناله الإنسان في دنياه وأخراه هو ثمرة من ثمار هذه العقيدة. ولعلي أشير في هذا الباب إلىٰ إشاراتٍ سريعة وتجدون تفصيلا جميلًا ونافعًا في هذا الباب في خاتمة كتاب «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للإمام ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه جعله في ثلاثة أقسام، خصَّ القسم الأخير منه في ذكر ثمرات الإيمان وفوائده التي يجنيها أهله في الدُّنيا والآخرة.

- **فمن ثمرات العقيدة الصَّحيحة والإيمان القويم في الدُّنيا والآخرة:** دخول الجنّة والنَّجاة من النار والفوز برضا الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والأدلّة علىٰ هذا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنّة نبيِّه صلوات الله وسلامه عليه كثيرة جدًّا.

- **وكذلكم من ثمار العقيدة وآثارها العظيمة المباركة:** غُفران الذنوب وإقالة العثرات ومغفرة الزَّلّات، فالعقيدة أعظم أمرٍ تُغفر به الذُّنوب، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]. وجاء في «سُنن التِّرمذي» من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»، وهذا الحديث هو من أجمع الأحاديث في ذكر أسباب مغفرة الذنوب وهي: الدعاء مع رجاء الإجابة، والاستغفار، والتوحيد.

والتوحيد هو أعظم أسباب المغفرة؛ بل إن من يأتي يوم القيامة ليس موحدًا فلا مَطمع له في مغفرة الله ولا سبيل له لنيل رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حرَّم المغفرة والرحمة والجنة والنجاة من النار علىٰ الكافرين، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَۖ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَ لَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر].

- **كذلكم من ثمار العقيدة العظيمة المباركة:** الأمن والاهتداء في الدُّنيا والآخرة، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام]، فالأمن في الدنيا وكذلك الأمن في الآخرة يوم الفزع الأكبر لا يكون إلَّا لمن صحَّت عقيدته، كما دلَّت علىٰ ذلكم هذه الآية الكريمة، وكذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا

يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥] فالعقيدة الصحيحة والإيمان القويم مع العمل الصالح سبب تحوُّل الخوف إلىٰ الأمن ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾، وسبب الراحة والطمأنينة والسعادة والهناءة في الدنيا والآخرة.

- وكذلكم دلت الآية المتقدمة علىٰ أنَّ العقيدة الصحيحة والإخلاص لله ﷻ سبب التَّمكين؛ ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾.

- **وكذلكم من ثمارها**: الحياة الطيِّبة في هذه الحياة الدُّنيا، والثواب العظيم والأجر الجزيل والنَّعيم الدائم المُقيم يوم القيامة يوم يلقىٰ الله ﷻ، وفي هذا يقول الله جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

- وكذلكم من ثمار العقيدة: حصول الفلاح في الدنيا والآخرة والنجاة من الخسران، والفلاح يعني: حيازة الخير في الدنيا والآخرة، وهي أجمع كلمةٍ في حيازة الخير، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]، وقال الله جل وعلا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر].

- **وكذلكم من ثمار العقيدة العظيمة**: الفوز بولاية الله الخاصَّة التي تقتضي الحفظ والتأييد والنَّصر، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة:٢٥٧].

- **من الثِّمار المباركة للإيمان**: الفوز بأعظم نعيم؛ وهو رؤية الله ﷻ؛ فهذا لا يكون إلا لأهل الإيمان، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، والله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]. هذا لأهل الإيمان، أمَّا غيرهم فقد قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين].

والحاصل أن ثمار العقيدة والإيمان في الدنيا والآخرة ثمار كثيرة وعديدة ومتنوعة، وقد قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم]. وفي الكتاب الذي أحلتُ إليه؛ كتاب الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ «التوضيح والبيان لشجرة الايمان» عدٌّ نافع وسردٌ مفيد لثمرات الإيمان

وثمرات العقيدة.

ونكتفي بهذا القدر، والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.